بسم الله الرحمن الرحيم

علم تعليم اللغة العربية

الحلقة المفقودة في برامج الجامعات العربية

أ. د. عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي

مقدمة:

اللغة العربية الفصحى، أو الفصحى المعاصرة، هي لغة التعلم والتعليم في مراحل التعليم العام في معظم الأقطار العربية؛ فهي لغة الرياضيات والعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، فضلاً عن كونها لغة العلوم العربية والشرعية أو الدينية. وهي — بالإضافة إلى ذلك – لغة الدراسة في المراحل الجامعية والدراسات العليا، باستثناء التخصصات العلمية التطبيقية كالطب والصيدلةِ والهندسة وعلوم الحاسب.

واللغة العربية الفصحى هي اللغة الرسمية واللغة الأولى في الوطن العربي، لكنها ليست لغةً أمًّا لأحد من أبنائها في العصر الحاضر وفق المفهوم اللغوي العلمي الدقيق للغة الأم؛ فلا تُكتسب اكتساباً طبيعياً، ولا تكتَمل في المرحلة الأساسية لاكتساب اللغة الأم عادةً. فالطفل العربي يتلقى في بيئته المنزلية الأولى مستويات متفاوتة من اللهجات العامية الشفهية ويكتسبها، فإذا التحق بالمدرسة بدأ يتعلم القراءة والكتابة ويتلقى علوماً ومعارف مكتوبة بلغة عربية فصيحة، لكنها مختلطة بلغة شفهية عامية تقل كثيراً عن مستوى اللغة الفصيح المكتوب في المقررات المدرسية.

والمواد اللغوية التعليمية في مقررات اللغة العربية وغيرها من مقررات التعليم العام تهتم بالصحة اللغوية في اختيار المواد التعليمية، وتقديم هذه المواد وفق المبادئ التربوية العامة؛ كإخراج

الكتاب، وتنظيم النصوص والتدريبات، ونحو ذلك من الجوانب الشكلية التي علاقة لها بلغة المتعلم من حيث النمو اللغوي، والتدرج فيه. أي إنها تهمل اللغة ذاتها، تلك الظاهرة أو القدرة المعرفية الفطرية الاجتماعية التي تختلف طبيعتها عن جميع القدرات الأخرى لدى الإنسان، وتهمل الجوانب اللغوية النفسية واللغوية الاجتماعية المرتبطة بها.

نتيجة لذلك؛ يتلقى الطفلُ العربيُّ لغته – في مراحل التعليم العام – كما يتلقى العلوم والمعارف الأخرى، كالعلوم الطبيعية والرياضيات والتاريخ والجغرافيا؛ فيتعلمها تعلماً نظرياً، يتلخص في حفظ قواعدها وأمثلتها ونصوصها، ويؤدي بعض التدريبات المفصولة عن الواقع اللغوي، التي لا تقود إلى كفاية لغوية حقيقية تمكنه من الفهم الحقيقي لمحتوى المواد التعليمية وتظهر في أدائه اللغوي المنطوق والمكتوب. وفي نهاية الفصل أو العام الدراسي يجتاز هذا الطفل الاختبارات التحصيلية كما يجتاز اختبارات العلوم الأخرى.

وعلى الرغم من أن إحساس اللغويين والتربويين بضعف الطلاب باللغة العربية، وصعوبة استيعابهم لمحتوى العلوم والمعارف في هذه المرحلة، فإن ما قدم في هذا المجال من جهود – في نظر الباحث – محدودة في الجوانب الشكلية الظاهرة من اللغة، لا تتعداها إلى الجوانب العميقة منها، الكامنة في ذهن المتعلم وبيئته ومجتمعه، ولا إلى الوظائف اللغوية والمجالات والمواقف التي يمر بها المتعلم.

مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة في أن الطلاب في مراحل التعليم العام لا يكتسبون اللغة العربية اكتساباً حقيقياً، ولا يتعلمون منها ما يجب أن يتعلموه، وأن ما يعرض من آراء واقتراحات وحلول لتطوير تعليم اللغة العربية لما يصل بعد إلى دراسة المشكلة الحقيقية، فضلاً عن الوصول إلى حلول لها.

والدراسة الحالية محاولة لحل هذه المشكلة؛ تتمثل باقتراح خطة لغوية عربية تطبيقية، تنطلق من علم تعليم اللغة العربية، أو علم اللغة التطبيقي العربي، وتقدم لمعلمي اللغة العربية في المرحلة الجامعية في أقسام اللغة العربية وكلياتها في الجامعات العربية؛ فتمنحهم القدرة على بناء الخطط والمناهج وإعداد المواد التعليمية، وتطوير أساليب التدريس ووسائل التقويم في التعليم العام، على أسس علمية لغوية تطبيقية.

ويتطلب هذا الأمرُ وصفَ اللغة العربية في الخطط والمناهج الجامعية الحالية، وكذلك وصف طبيعة المواد التعليمية في مراحل التعليم العام، ثم التعريف بعلم تعليم اللغة العربية، وبيان أهميته ومكوناته، واقتراح أساليب تطبيقه.

اللغة العربية في الخطط والمناهج الجامعية الحالية:

تُقدَّم اللغةُ العربية للطلاب تخصصاً مستقلاً في المراحل الجامعية في كليات اللغة العربية أو في أقسام اللغة العربية بكليات الآداب أو كليات التربية أو كليات المعلمين. ولو أخذنا خطط الجامعات السعودية للغة العربية في مرحلة البكالوريوس أنموذجاً ألفيناها تشمل مقررات في النحو والصرف وفقه اللغة والبلاغة والأدب والنقد والعروض، وهذه تمثل الغالبية العظمى من الوحدات الدراسية، ومقررات أخرى في المناهج وطرائق التدريس، وربما يضاف إليها مقررات في علم النفس أو علم النفس التربوي، إضافة إلى متطلبات أخرى للكلية والجامعة كالثقافة الإسلامية وبعض المقررات الاجتماعية. وهذا يعني أن البرامج والخطط الدراسية ذات العلاقة باللغة العربية في المرحلة الجامعية والدراسات العليا تنحصر في مجالين:

أحدهما: علوم اللغة العربية وفنونها من نحو وصرف وأصوات ومعاجم وأدب وبلاغة ونقد وعروض، وما تتطلبه هذه العلوم من بحوث ورسائل لا تخرج في عمومها عن قضايا اللغة العربية وعلومها. والدراسات في هذا المجال غالباً ما تقدم في أقسام اللغة العربية في كليات الآداب أو كليات اللغة العربية، وربما تقدم في كليات التربية.

والآخر: المناهج وطرائق التدريس، سواء أكانت عامة لجميع العلوم أم خاصة بتدريس اللغة العربية. والدراسات في هذا المجال تقتصر على العلوم التربوية؛ كإعداد الخطط والمناهج والمقررات وتأليف الكتب المدرسية، وطرائق التدريس، وأساليب التقويم، وتقنيات التعليم، وربما يعطى الطالب مقرراً أو مقررات محدودة في علم النفس، أو علم النفس التربوي، أو نحو ذلك. والدراسات في هذا المجال عادة ما تقدم في كليات التربية أو كليات المعلمين.

وإذا كانت محتويات البرامج الجامعية هذه مفيدة في البناء اللغوي للمتخصصين في اللغة العربية، والتأهيل التربوي الذي يساعدهم على تحضير الدروس، وتقديمها لطلابهم، وتوجههم توجيهاً عاماً للتعامل مع التلاميذ، فإن هذه البرامج غير كافية لتأهيلهم في وضع خطط تعليم اللغة العربية وبناء مناهجها ومقرراتها وتطويرها وتأليف موادها اللغوية، كما أنها تقدم لهم حلولاً عامةً للمشكلات اللغوية النفسية والاجتماعية التي تواجه طلابهم. فهذا التأهيل يتطلب تخصصاً في تعليم اللغات عامة وتعليم العربية خاصة، لا يقدم في كليات التربية وأقسامها أو في أقسام علم النفس أو الاجتماع، وإنما يقدم في برامج موجهة توجيهاً محدداً لمتخصصين في اللغة العربية.

اللغة العربية في مراحل التعليم العام:

المتأمل في مقررات اللغة العربية وموادها التعليمية في مراحل التعليم العام، الابتدائي والمتوسط والثانوي، يلحظ أنها مقررات منفصل بعضها عن بعض من ناحية، ومنفصلة عن محتوى المقررات الأخرى من ناحية أخرى. أي إن المحتوى العربي في جميع المقررات غير متكامل من الناحية اللغوية، ولا مراعى فيه طبيعة النمو اللغوي لكل مرحلة عمرية.

فمقررات النحو والصرف مثلاً مرتبة موضوعاتها ومسائلها ترتيباً علمياً، لا يختلف كثيراً عما هو في كتب التراث النحوية والصرفية، فلم ترتب ترتيباً تعليمياً يراعى فيه التدرج في اكتساب هذه الموضوعات والمسائل. كما أنه لم يراع في اختيار موضوعات النحو والصرف ومسائلهما ما

يكتسب اكتساباً طبيعياً دون حاجة إلى التعلم النظري، وما لا يكتسب إلا بالتعلم الصريح المباشر.

ومقررات القراءة لا تتناسب مع النمو اللغوي للطالب، بجانبيه التركيبي والمعجمي؛ فالأنماط اللغوية في مقرر القراءة في الصف الخامس مثلاً أصعب وأكثر تعقيداً من الأنماط اللغوية في مقرر القراءة في الصف السادس[1]. وقريب من ذلك مقررات المحفوظات والنصوص ومقررات العلوم الدينية.

ولغة العلوم والرياضيات والتاريخ والجغرافيا في مرحلة معينة لا تتفق مع لغة الطالب من النمو المرحلي للصيغ الصرفية والتراكيب النحوية؛ فبعضها أصعب من لغة الطالب بدرجة تحمله على الحفظ دون الفهم، وبعضها أدنى كثيراً من لغته بدرجة لا تكاد تسعفه في فهم المادة فهماً عميقاً.

إضافة إلى ذلك كله، فلا وجود للبرامج المسموعة المرئية إلا نادراً أو في أنشطة غير منهجية، على الرغم من أن لغة الطفل العربي في أيامنا هذه تتأثر بوسائل الإعلام وتقنيات الاتصال الحديثة أكثر من تأثرها بالمواد التعليمية في المدرسة، ولا توجد علاقة بين ما يتلقاه الطفل في المدرسة وما يتلقاه خارجها، فضلاً عن تكاملهما.

ما علم تعليم اللغة العربية؟

لم يعثر الباحث على إشارة إلى علم تعليم اللغة العربية بوصفه علماً مستقلاً، فضلاً عن تعريفه أو شرحه أو الكتابة فيه، سوى ما كتبه الدكتور نهاد الموسى عن طبيعة تعليم اللغة العربية[2].

---

1 أشرف الباحث على رسالتي ماجستير في علم اللغة التطبيقي بجامعة الإمام محمد بن سعود، أظهرت نتائجهما هذه الحقيقة.

2 ذلك في كتيب عنوانه: مقدمة في تعليم اللغة العربية، نشرته دار العلوم بالرياض، عام 1405هـ، حوى نقداً بناء لمناهج تعليم اللغة العربية في مراحل التعليم العام وأساليب التدريس فيها.

وأياً ما كان الأمر، فإن الباحث يقصد بعلم تعليم اللغة العربية هنا: ذلك العلم الذي يدرس قضايا اكتساب اللغة العربية وتعلمها وتعليمها دراسة علمية شاملة لجميع الجوانب اللغوية والنفسية والاجتماعية والتعليمية، ويهدف إلى تطبيقها في تعليم العربية لغة أماً ولغة ثانية أو أجنبية.

وهذا العلم يمكن تصنيفه ضمن اللغويات التطبيقية أو علم اللغة التطبيقي Applied Linguistics، الذي هو أحد فروع علم اللغة Linguistics، ويُعنى بدراسة الجوانب التطبيقية من اللغة، سواء أكانت تعليمية أم غير تعليمية[1].

أهمية علم تعليم اللغة العربية:

تنبع أهمية هذا العلم من أهمية علم اللغة التطبيقي ذاته، ومن الميدان المطبق فيه وهو تعليم اللغة العربية بالمفهوم الشامل للتعليم الذي لا يقتصر على أساليب التدريس. ويمكن تلخيص أهمية هذا العلم في الجوانب الآتية:

1- أنه يدرس اللغة العربية دراسة لغوية نفسية كما هي في ذهن الطفل الناطق بها، من حيث الاكتساب والتعلم، ومراحل هذا الاكتساب وتدرجه، ومشكلات النمو اللغوي في مراحل التعليم العام في مراحل الطفولة والمراهقة، ويمنح المعلم القدرة على حل هذه المشكلات بأساليب علمية.

2- أنه يهتم بالحالة الاجتماعية الخاصة باللغة العربية التي تميزها عن كثير من لغات العالم، من حيث كونها لغة أماً في أصلها، مع أن الطفل لا يتلقى من والديه وبيئته إلا الأنماط العامية منها، أما العربية الفصحى، التي هي لغة التعلم والتعليم والإعلام، فيتعلمها في المدارس، وذلك بعد بلوغه السنة السادسة من العمر، أي بعد اكتمال لغته الأساس.

3- عدم توفر دراسات لغوية نفسية كافية تدرس اكتساب الطفل للعربية لغته الأم دراسة عميقة تبدأ من ولادته حتى بلوغه السادسة أو الثانية عشرة من العمر، سوى بعض البحوث المتفرقة

[1] Richards, J., Platt, J.; and Platt, H. Longman Dictionary of Language Teaching & Applied linguistics. Longman House, Essex, England, 1992, P. 19.

المتصلة بمرحلة عمرية محددة غير المربوطة بالمراحل السابقة أو اللاحقة لها، وكثير منها دراسات للهجات العامية الدارجة.

4- أن البرامج الحالية ذات العلاقة باللغة العربية في الجامعات غالباً ما تقتصر على جانب واحد أو جوانب محدودة من تعلم اللغة العربية وتعليمها؛ كقواعد اللغة، أو المحتوى اللغوي للكتب المدرسية، أو طرائق التدريس، أو أساليب التقويم، لكنها لا تتعرض للغة العربية داخل المتعلم نفسه، أي لا تتعرض لنمو لغة المتعلم وما تتأثر به من عوامل اجتماعية. أما البرنامج المقترح في هذه الدراسة فيجمع بين هذه الجوانب كلها؛ حيث يهتم بلغة المتعلم نفسه، والعوامل المؤثرة فيها، ولغة الكتب المدرسية، إضافة إلى أنظمة اللغة وقواعدها وقوانينها، وربط هذه الجوانب بعضها ببعض.

5- أن البرنامج المقترح يستند إلى النظريات والمذاهب الحديثة في دراسة اللغات واكتسابها وتعلمها وتعليمها، ويهتم بالدراسات الميدانية التطبيقية، ويشمل كلاً من المقررات المنهجية والبحوث والرسائل العلمية، ويفتح آفاقاً جديدة وواسعة لمواصلة الدراسة والتخصص في هذا الحقل في الدراسات العليا في الماجستير والدكتوراه، ما يثري تخصصات اللغة العربية في الجوانب النظرية والتطبيقية، ويعالج كثيراً من المشكلات التي يعاني منها حقل تعليم اللغة العربية[1].

مكوِّنات علم تعليم اللغة العربية:

علم تعليم اللغة العربية المقترح منبثق من علم اللغة التطبيقي؛ لذا فإن موضوعاته ومقرراته يجب أن تنطلق من بعض فروع علم اللغة التطبيقي وموضوعاته ومسائله، إضافة إلى العلوم والموضوعات والمسائل المتفرقة في علوم أخرى؛ كعلم اللغة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التربية، وعلوم الحاسب. وفيما يلي تعريف بهذه العلوم والموضوعات وبيان لأهميتها:

[1] راجع: عبدالعزيز العصيلي. النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية، مطابع الرياض 1422هـ.

1- مقدمة في علم اللغة: وهي دراسات تمهيدية لعدد من علوم اللغة الضرورية لدراسة اللغة من أجل تعليمها وتعلمها، وتشمل:

أ- الأصوات بفرعيها: العامة Phonetics والوظيفية Phonology، للاستفادة منها في الجوانب التطبيقية في تعليم الأصوات وتأليف المواد التعليمية، وإجراء الدراسات حول جدوى أساليب تعليم القراءة والكتابة؛ كالطريقة الجزئية، والطريقة الكلية، والطريقة التفاعلية، ونحو ذلك.

ب- الصرف، ويدرس فيه الصرف دراسة لغوية تحليلية، تساعد معدي المناهج ومؤلفي الكتب المدرسية والمواد التعليمية في تحديد الوحدات والصيغ الصرفية والموضوعات الوظيفية المهمة لاكتساب اللغة واستعمالها استعمالاً وظيفياً سليماً.

ج- النحو، وتدرس موضوعاته دراسة لغوية تحليلية على غرار دراسة الصرف؛ لتصنيف التراكيب والوظائف النحوية المهمة في اكتساب اللغة واستعمالها استعمالاً وظيفياً سليماً، ثم إعادة ترتيب الأبواب والموضوعات والوظائف النحوية بناء على ما تقدمه نتائج دراسات النمو اللغوي للطفل العربي.

د- المعجم، ويدرس من جانبين: جانب لغوي يعنى بدراسة المفردات ودلالاتها، وجانب تعليمي يعنى بدراسة لغة الطفل في مراحل التعليم وأساليب تقديم المفردات المعجمية ودلالاتها في المواد التعليمية، إضافة إلى صناعة المعاجم المدرسية بالأساليب الحديثة.

هـ- الدلالة، وتدرس فيها دلالة المفردات والتراكيب وتنوعاتها وتأثرها باستعمال البيئة التي يعيش فيها الطفل وعلاقة هذا الاستعمال بالعربية الفصحى.

و- التداولية Pragmatics أو علم التخاطب، ويمكن أن يكون هذا العلم ضمن الدراسات اللغوية الاجتماعية وتحليل الخطاب.

2- التحليل اللغوي: ويتضمن دراسة التراكيب اللغوية على مستوى الكلمة ومستوى العبارة ومستوى الجملة ومستوى الخطاب؛ لتحديد المستوى اللغوي المناسب لكل صف دراسي.

3- علم اللغة النفسي psycholinguistics: وهو علم يهتم باكتساب اللغة ونموها ومشكلاتها.

4- علم اللغة العصبي neurolinguistics: وهو العلم الذي يهتم بقضايا اللغة في الدماغ وغيره من الأجهزة العصبية، مع التركيز على المشكلات اللغوية، وكان أحد مجالات علم اللغة النفسي، ثم أصبح علماً مستقلاً.

5- علم اللغة الاجتماعي sociolinguistics: وهو العلم الذي يدرس اللغة في المجتمع، وتعدد المستويات اللغة، ونحو ذلك مما له علاقة باللغة من حيث طبيعتها وأساليب دراستها واكتسابها.

6- تحليل الخطاب discourse analysis: وهو العلم الذي يعنى بتحليل النصوص المنطوقة والمكتوبة، ويعنى بدراسة اللغة وتحليلها على مستوى النص بدلاً من الاقتصار على الجملة.

7- علم النفس المعرفي cognitive psychology: ويدرس منه ما له علاقة بالنمو لدى الإنسان، مع التركيز على النمو اللغوي، كما أنه يساعد في فهم النظريات اللغوية المعرفية الفطرية التي ما زالت مهيمنة على الدراسات اللغوية.

8- علم نفس النمو developmental psychology: ويدرس النمو اللغوي وما يرتبط به من جوانب جسمية وعاطفية ونحو ذلك، ويركز فيه على النمو اللغوي.

9- علم النفس القرائي أو سيكولوجية القراءة psychology of reading: ويتضمن ثلاثة جوانب:

الأول: نظري، ويدرس فيه الطالب نظريات القراءة في ضوء علم اللغة النفسي وعلم النفس المعرفي.

الثاني: تطبيقي، ويدرس فيه الطالب أساليب القراءة بحسب أهدافها وأغراضها.

الثالث: إعداد محتويات مقررات اللغة العربية ومحتويات المقررات الأخرى على ضوء ما يعرف بقراءة المحتوى reading in content area.

10- طرائق تدريس اللغة: وهي أساليب وإجراءات خاصة بتعليم اللغات، مستمدة من نتائج الدراسات اللغوية النفسية واللغوية الاجتماعية حول اكتساب اللغة وتعلمها.

11- تقنيات تعليم اللغة: وهي تقنيات التعليم ووسائله المرتبطة بتعليم اللغات، سواء أكانت تقنيات في التدريس أم إعداد البرامج والمواد التعليمية ووسائل التقويم، مع التركيز على تعليم اللغة بمساعدة الحاسوب CALL.

12- اللغويات الحاسوبية Computational Linguistics، وهو العلم الذي يُعنَى بدراسة اللغة الطبيعية باستخدام الأساليب الحسابية الآليَّة بهَدف تمكين الحاسوب من مُحاكاة عمَليات فهم اللغة الإنسانية واستِعمالِها، ويركز فيه على معالجة الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية معالجة آلية.

13- اختبارات اللغة: ويندرج تحتها جميع أنواع الاختبارات اللغوية؛ سواء أكانت اختبارات تحصيل أم اختبارات كفاية أم اختبارات قياس لجوانب معينة؛ كاختبارات الاستعداد اللغوي، واختبارات الميول والاتجاهات، أو غيرها مما له علاقة بالجوانب النفسية والاجتماعية في اكتساب اللغة وتعلمها.

14- إعداد المناهج والمواد التعليمية: ويمكن أن يكون مقرراً أو مقررات يقدم فيها للطالب كل ما له علاقة بإعداد المناهج والخطط والمقررات والكتب المدرسية، بما فيها كتاب الطالب وكتاب المعلم وكتاب الأنشطة والواجبات المدرسية وغيرها من الكتب المصاحبة، إضافة إلى المواد التعليمة المسموعة والمرئية؛ كالأشرطة والأفلام والأقراص المدمجة.

كيفية تنفيذه في التعليم الجامعي:

أود الإشارة إلى أن هذا العلم ليس بديلاً عن التأهيل اللغوي العلمي للمتخصصين في اللغة العربية، وإنما هو متمم له. لذا يجب الإبقاء على المقررات التي تمثل علوم اللغة العربية وفنونها من نحو وصرف وأدب ونقد وبلاغة؛ ليلمَّ المتخرجون بهذه العلوم التي تمثل المحتوى العلمي للغة

العربية. ويأخذ الطالب مقررات علم تعليم العربية أو علم اللغة التطبيقي العربي بأحد الأسلوبين الآتيين:

أحدهما: أن تبدأ مقررات علم اللغة التطبيقي من المستويات الأولى للمرحلة الجامعية، وتستمر مع الطالب بطريقة تدرجية، تسير جنباً إلى جنب مع المقررات اللغوية.

والآخر: أن تقدم للطلاب بعد إنهائهم المتطلبات اللغوية، أي في نهاية المرحلة الجامعية؛ سواء كانت مكملة للمرحلة الجامعية، أم برنامجاً منفصلاً لمدة سنة أو سنتين على هيئة دبلوم عال.

أسأل الله للجميع التوفيق والسداد

المراجع

العصيلي، عبدالعزيز بن إبراهيم. النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية. الرياض: مطابع التقنية، 1420هـ

العصيلي، عبدالعزيز بن إبراهيم. علم اللغة النفسي. الرياض: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1427هـ.

الموسى، نهاد. مقدمة في علم تعليم اللغة العربية. الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، 1405هـ.

Richards, J., Platt, J.; and Platt, H. Longman Dictionary of Language Teaching & Applied linguistics. Longman House, Essex, England, 1992.

Johnson, K. & Johnson, H. Encyclopedic Dictionary of Applied Linguistics. Malden, MA, USA, 2006.